

هذه السورة مدنية . ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة ، لأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم قال : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه ، فقال تعالى : { عَظِّمُوا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيِّنَ يَدَيِ اللَّهِ } وَرَسُولِهِ . . .

وكانت عادة العرب ، وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء ، وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب ، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك . قال قتادة : فربما قال قوم : ينبغي أن يكون كذا لو أنزل في كذا . وقال الحسن : ذبح قوم ضحيا قبل النبي صلى الله عليه وسلم ) ، وفعل قوم في بعض غزواته شيئا بآرائهم ، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك . فقال ابن عباس : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه . وتقول العرب : تقدمت في كذا وكذا ، وقدمت فيه إذ قلت فيه . . .

وقرأ الجمهور : لا تقدموا ، فاحتمل أن يكون متعديا ، وحذف مفعوله ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم ، فلم يقصد لشيء معين ، بل النهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين ، كقولهم : فلان يعطي ويمنع . واحتمل أن يكون لازما بمعنى تقدم ، كما تقول : وجه بمعنى توجه ، ويكون المحذوف مما يوصل إليه بحرف ، أي لا تتقدموا في شيء مما من الأشياء ، أو بما يحبون . ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وأبي حيوه والضحاك ويعقوب وابن مقسم . لا تقدموا ، بفتح التاء والقاف والذال على اللزوم ، وحذفت التاء تخفيفا ، إذ أصله لا تتقدموا . وقرأ بعض المكيين : تقدموا بشد التاء ، أدغم تاء المضارعة في التاء بعدها ، كقراءة البزي . وقرء : لا تقدموا ، مضارع قدم ، بكسر الدال ، من القدوم ، أي لا تقدموا

إلى أمر من أمور الدين قبل قدومها ، ولا تعجلوا عليها ، والمكان المسامت وجه الرجل قريبا منه . قيل : فيه بين يدي المجلس إليه توسعا ، لما جاور الجهتين من اليمين واليسار ، وهي في قوله : { بَيِّنَ يَدَيِ اللَّهِ } ، مجاز من مجاز التمثيل . وفائدة تصوير الهجنة والشناعة فيها : نهوا عنه من الإقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة ؛ والمعنى : لا تقطعوا أمرا إلا بعدما يحكممان به ويأذنان فيه ، فتكونوا عاملين بالوحي المنزل ، أو مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، وهذا ، وعلى هذا مدار تفسير ابن عباس . وقال مجاهد : لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه الله على لسان رسوله صلى

اﻟﻤﻨﻪ ﻭﺳﻠﻢ ) ، ﻭﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻨﻬﻲ ﺗﻮﭘﺌﺔ ﻟﻤﺎ ﻳﺄﺗﻲ ﺑﻌﺪ ﻣﻦ ﻧﻬﻴﻬﻢ ﻋﻦ ﺭﻓﻊ ﺍﺼﻮﺍﺗﻬﻢ . ﻭﻟﻤﺎ ﻧﻬﻲ ﺍﻣﺮ ﺑﺎﻟﺘﻘﻮﻯ ، ﻻﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﺘﻘﻮﻯ ﺍﺟﺘﻨﺎﺏ ﺍﻟﻤﻨﻬﻲ ﻋﻨﻪ . { ﻳٰﺬٰﺭُ ﺍﻟﻼﻫَ ﺳَﻤِﻴﻌٌ } ﻻﻗﻮﺍﻟﻜﻢ ، { ﻋَﻠَﻴﻢٌ } ﺑﻨﻴﺎﺗﻜﻢ ﻭﺍﻓﻌﺎﻟﻜﻢ . .

ﺛﻢ ﻧﺎﺩﺍﻫﻢ ﺛﺎﻧﻴﺎً ، ﺗﺤﺮﻳﻜﺎً ﻟﻤﺎ ﻳﻠﻘﻴﻪ ﺇﻟﻴﻬﻢ ، ﻭﺍﺳﺘﻌﺒﺎﺩﺍً ﻟﻤﺎ ﻳﺘﺠﺪﺩ ﻣﻦ ﺍﻻﺣﻜﺎﻡ ، ﻭﺗﻄﺮﻳﻪ ﻟﻼﻧﺼﺎﺕ . ﻭﻧﺰﻟﺖ ﺑﺴﺒﺐ ﻋﺎﺩﺓ ﺍﻟﺄﻋﺮﺍﺏ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﻔﺎﺀ ﻭﻋﻠﻮ ﺍﻟﺼﻮﺕ . { ﻻ ﺗَﺮُﻭْا ﻋُﻮً ﺍﺼْﻮﺍﺗِﻜُﻢ } : ﺃﻱ ﺇﺫﺍ ﻧﻄﻖ ﻭﻧﻄﻘﺘﻢ ، { ﻭَﻻ ﺗَﺠْﻬَرُﻭﺍ ﻟﻪُ ﺑِﺍﻟْﻘَﻮﻝِ } ﺇﺫﺍ ﻛﻠﻤﺘﻤﻮﻫ ، ﻻﻥ ﺭﺗﺒﺔ ﺍﻟﻨﺒﻮﺓ ﻭﺍﻟﺮﺳﺎﻟﺔ ﻳﺠﺐ ﺃﻥ ﺗﻮﻗﺮ ﻭﺗﺠﻞ ، ﻭﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻣﻊ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ) ﻛﺎﻟﻜﻼﻡ ﻣﻊ ﻏﻴﺮﻩ . ﻭﻟﻤﺎ ﻧﺰﻟﺖ ، ﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﺑﻜﺮ ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ : ﻻﺃﻛﻠﻤﻜﻲ ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺇﻻ ﺍﻟﺴﺮﺍﺭ ﺃﻭ ﺁﺧﺎ ﺍﻟﺴﺮﺍﺭ ﺣﺘﻰ ﺍﻟﻘﻰ ﺍﻟﻠﻪ . ﻭﻋﻦ ﻋﻤﺮ ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ، ﺃﻧﻪ ﻛﺎﻥ ﻳﻜﻠﻢ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ) ﻛﺄﺧﻲ ﺍﻟﺴﺮﺍﺭ ، ﻻ ﻳﺴﻤﻌﻪ ﺣﺘﻰ ﻳﺴﺘﻔﻬﻤﻪ . ﻭﻛﺎﻥ ﺃﺑﻮ ﺑﻜﺮ ، ﺇﺫﺍ ﻗﺪﻡ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ) ، ﻗﻮﻡ ﺃﺭﺳﻞ ﺇﻟﻴﻬﻢ ﻣﻦ ﻳﻌﻠﻤﻬﻢ ﻛﻴﻒ ﻳﺴﻠﻤﻮﻥ ، ﻭﻳﺄﻣﺮﻫﻢ ﺑﺎﻟﺴﻜﻴﻨﺔ ﻭﺍﻟﻮﻗﺎﺭ ﻋﻨﺪ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ) ، ﻭﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺍﻟﺮﻓﻊ ﻭﺍﻟﺠﻬﺮ ﺇﻻ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻓﻲ ﻃﺒﺎﻋﻬﻢ ، ﻻ ﺃﻧﻪ ﻣﻘﺴﻮﺩ ﺑﺬﻟﻚ ﺍﻻﺳﺘﺨﻔﺎﻑ ﻭﺍﻻﺳﺘﻌﻼﺀ ، ﻻﻧﻪ ﻛﺎﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻓﻌﻠﻬﻢ ﺫﻟﻚ ﻛﻔﺮﺍً ، ﻭﺍﻟﻤﺨﺎﻃﺒﻮﻥ ﻣﺆﻣﻨﻮﻥ . { ﻛَﺠَﻬَرُ ﺑَﻌْضُﻜُﻢ ﻟِﺒَﻌْضٍ } : ﺃﻱ ﻓﻲ ﻋﺪﻡ ﺍﻟﻤﺒﺎﻻﺓ ﻭﻗﻠﺔ ﺍﻻﺣﺘﺮﺍﻡ ، ﻓﻠﻢ ﻳﻨﻬﻮﺍ ﺇﻻ